فلسفة العمران في القرآن

د. أحمد صالح علي بافضل

رئيس مركز البحوث ودراسات التنمية جامعة القرآن والعلوم الإسلامية

اليمن

asayht@hotmail.com

ملخص الدراسة:

تناولت الدراسة التوجيه القرآني لسير البشرية نحو العمران فيما يتعلق بالموجهات والخلفية التي يستند إليها القائم بالعمران. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي. وهدفت الدراسة إلى إيضاح الخلفيات التي وضعها القرآن الموجهة لسير مريد العمران، كتابة بحث يضم بين دفتيه ما يتعلق بخلفيات السير نحو العمران في القرآن الكريم. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج منها: تناول القرآن العمران طلباً وإعطاء لبعض أرضيته، جعل القرآن معطيات الوحي ومخرجات عقول البشر هي المرجع الرئيس للقائم بعملية العمران، جعل القرآن هناك إطاراً عاماً يتمحور فيه القائم بالعمران وذلكم الابتلاء، وحدد له أغراضاً إجرائية تراعى؛ ومنها: الإصلاح، والإعمار، والرشد، يوجه القرآن للتوافق والتناغم بين عدد من المتقابلات: الدنيا والآخرة، المثالية والواقعية، الغيب والشهادة. وخرجت الدراسة بتوصيات أهمها: دراسة موضوع العمران في القرآن؛ في جزئين متبقين بعد فلسفة العمران؛ وهما: سير العمران، وتطبيقاته على الواقع التنزيلي، زيادة الدراسة والتمحيص في بعض القضايا التي أثارها البحث؛ ومنها: علاقة الدنيا والآخرة إجرائيا، وإطلاق القرآن للإبداع الحضاري.

Summary of study:

The study dealt with the Qur'anic guidance to human progress towards urbanization with regard to guidance, and the background on which the worker is based, the researcher used analytical descriptive approach. The study targeted the backgrounds developed by the Quran to the builder, writing a search between a side, what is related to urban background in the Quran, the study has reached results: The Quran spoke about urban request and give some of his floor,

the Quran made the results of revelation and the results of the minds of humans is the main reference for a person who is carrying out the urbanization make the Holy Quran There is a public domain in which urbanization and It is a calamity, It has identified procedural purposes; You must care, including: Reform, reconstruction, and guidance, directs the Quran for consensus and harmony between a number of things, the world and the hereafter, idealism, realism, unseen and testimony. The study came out with tips. The most important: Study the subject of urbanization in the Holy Quran; in two parts remaining after the philosophy of urbanization; the two: The progress of urbanization, and its applications on the current reality, increased study and scrutiny in some cases raised by the research; Including: The relationship of the world in the Hereafter, and the launch of the Holy Quran for urban creativity.

مقدمة:

أنزل الله ـ تعالى ـ كتابه ليكون للعالمين هاديا ونورا، ينير دروب معاشهم، ويستضيئون بما يبعدهم عن حياة الضنك والعوز، ومع حالة البشرية في ترديها وتيهها في سبيل الوصول إلى بر الأمان، حريٌّ أن تبذل المهج لاستكشاف أضواء طريق الطمأنينة والرغد العام، من كل مورد يمكن أن ينفع، وأعظم النفع وأكمله لا شك أنه من خالق الكون وباريه ـ سبحانه ـ فأردنا أن نسهم في إيضاح ما في كتاب الله مما يتعلق بالعمران والتنمية علنا نقدم ما يفيد الأمة والإنسانية في تخبطها عبر هذا العنوان: " فلسفة التنمية في القرآن" ونعني بالفلسفة الخلفية الموجهة للسير.

موضوع البحث:

دراسة تحاول إيراد التوجيه القرآني لسير البشرية نحو العمران فيما يتعلق بالموجهات والخلفية التي يستند إليها القائم بالعمران.

أهداف البحث:

1. إيضاح الخلفيات التي وضعها القرآن الموجهة لسير مريد العمران.
2. كتابة بحث يضم بين دفتيه ما يتعلق بخلفيات السير نحو العمران في القرأن الكريم.
3. المساهمة في إيضاح النظرية العامة للتنمية والعمران في الإسلام.

مشكلة البحث:

القرآن موجه للبشرية كلها فيما يوصلها للنجاح في الدنيا والآخرة، وما يعرفها بعالم الغيب والشهادة، وما يقيمها صالحة في أمورها الدينية والدنيوية، وما يرشدها كلها على مر العصور والأزمان إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، فمع كل هذه الثنائيات إلى أي حد يكون توجيه القرآن للإنسان في عمارة الكون وتشييد البنيان، وتحسين الوسائل وأنماط العيش المتحضر؛ وهذا يتوجه إلى بناء الدنيا وعمارتها.

و يمكن كتابة عدد من الأسئلة التي يحاول البحث الإجابة عنها:

1. هل يتناول القرآن قضية عمارة الكون وبناء الحياة المتحضرة ؟
2. إلى أي مدى تناول القرآن قضية العمران ؟
3. كيف يتناول القرآن هذه القضية التي تختلف بحسب الزمان وهو يوجه بها البشرية في كل العصور والأزمان، والحالات ؟

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي التتبعي والوصفي والتحليلي حيث يسلك البحث منهج التتبع والاستقراء لما ورد في القرآن مما يتعلق بالعمران، ثم يوصفها وفقاً لمصطلحات ومفاهيم العمران والتنمية، ثم يحللها بأبعادها ودلالاتها.

الدراسات السابقة:

من الدراسات المقاربة لبحثي:

1. دراسة: فلسفة العُمران الحضاري من منظور قرآني للدكتور محمد محمود كالو، مجلة مقاربات العدد الأول 2020م.

ومما تميز به بحثي:

- ✓ إيرادي للخلفيات التي تُمثل أبعاد رئيسة في موضوع العمران: مثل الدنيا والآخرة، والتسبب والتأييد الإلهي وهكذا.
- ✓ المقاربة مع قضايا مطروحة في عصرنا مثل الندرة والوفرة.

2. القرآن والعمران قراءة في المفاهيم المؤسسة، وهو بحث ليحيى رمضان، نشر بموقع الملتقى الفكري للإبداع http://www.almultaka.org/site.php?id=768&idC=1&idSC=1

ومما تميز بحثي عنه:

3. إيرادي للخلفيات التي تُمثل أبعاد رئيسة في موضوع العمران: مثل الدنيا والآخرة، والتسبب والتأييد الإلهي وهكذا.
4. المقاربة مع قضايا مطروحة في عصرنا مثل الندرة والوفرة.
5. المعالجة العميقة لقضايا الإنسان وعلاقاته.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

التمهيد: مفاهيم البحث:

العمران، الفلسفة.

المبحث الأول: الخلفية التي توجه السير نحو العمران:

المطلب الأول: مرجعية القائم بالعمران.

المطلب الثاني: المغزى والغرض: ابتلاء، عمار، إصلاح.

المبحث الثاني: تناغم الحقائق الماثلة:

المطلب الأول: الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: المثالية والواقعية.

المطلب الثالث: الغيبيات والشهود. التأييد الرباني. موقعه وأثره.

المبحث الثالث: الأبعاد التنموية:

المطلب الأول: الوفرة والندرة.

المطلب الثاني: عمل الإنسان وتصريف الخالق سبحانه.

المطلب الثالث: توسيع العمران والإبداع الحضاري.

المطلب الرابع: الإنسان غاية العمران وأداته.

الخاتمة: النتائج والتوصيات.

التمهيد: مفاهيم البحث: العمران، الفلسفة.

أولاً: مفهوم العمران :

العمران في اللغة من عمر يعمر عمارة وعمراناً؛ والعمران ضد الخراب، والتخريب هو الهدم[1].

فالعمران في المدلول اللغوي: (البنيان وما يعمر به البلد ويحسن حاله بوساطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجح الأعمال والتمدن)[2].

وقد اشتهر مصطلح العمران عن ابن خلدون ؛ وصرح بأنه الاجتماع البشري حين قال (الاجتماع البشري الذي هو العمران)[3]؛ وهذا الاجتماع البشري ينتج عنه . في تصوره . إقامة الحياة بكافة متطلباتها ومعايشها سواء في البداوة أو الحضر؛ وذلكم هو العمران حيث قال: (العمران وهو التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات، لما في طباعهم من التعاون على المعاش .. ومن هذا العمران ما يكون بدوياً، وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجعة في القفار[4] وأطراف الرمال ومنه ما يكون حضرياً، وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن والمدر)[5].

ومادة العمران قد وردت في قوله تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ}[6].

والآية دالة على البناء المادي؛ وهو المتبادر من لفظ العمران؛ وهذا ما قرره أحد الباحثين المعاصرين حين قال: (التعريف القرآني للعمران البشري: هو إسكان في منطقة معينة ,لهدف معين، يتطور مع الزمن إلى اجتماع بشري, يسوده الأمن و يتوفر على أسباب المعيشة)[7].

غير أن استعمالنا هنا في بحثنا للفظ العمران على الجانب المادي والمعنوي.

مصطلحات مقاربة للعمران: التنمية:

---

[1] (1) ينظر: ابن دريد، جمهرة العرب (2 / 387)، ط1، بيروت: دار صادر، وابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب (4/ 604 .601)، ط 3، بيروت: دار صادر، 1414 هـ

(2) مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (2/ 627)، دار الدعوة.

(3) ابن خلدون: عبد الرحمن الحضرمي، المقدمة ص 48، بيروت: دار الفكر، 1424هـ.2004م.

(4) أي الأماكن التي يُطلب فيها الكلأ والماء في الصحراء الخالية ؛ فالقفار الخلاء من الأرض، والمنتجع المكان الذي يُطلب فيه الكلأ؛ ينظر: ابن منظور: لسان العرب (5/ 110) و (8/ 347).

(5) ابن خلدون، المقدمة ص 51 .

(6) (هود: 61) .

(7) توني: المهندس إسماعيل، العمارة والعمران في ظلال القرآن ص 14، يُنظر على هذا الرابط http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=29352

التنمية لغة ترجع إلى التكثير والزيادة، وكثرت تعريفاتها جدا، ومن أوضحها وأسهلها تعريف الإيسيسكو حين قالت: (تعني "تنمية"، بكل بساطة، التمكن من الوصول باستمرار إلى مستوى عيش جيد من الناحيتين المادية، والمعنوية)[8].

ومن تعريفات التنمية الشاملة: (السياسات والبرامج والأعمال الموصلة لأقصى ممكنات الصلاح والانتفاع بالحياة حاضراً ومستقبلاً)[9].

وعلى هذا فالتنمية مقاربة لمعنى العمران، إن لم تكن مرادفة له، حتى اقترح بعض الباحثين أفضلية استبدال لفظ التنمية بالعمران، وأن ذلك يتوافق مع النظرة الشرعية ومصطلحاتها وصيغها[10]، ونحن نرى أن لفظ العمران أنصع ظهورا وأبعد عن اللبس فهو يحدد الهدف، وليس السير كما هو المتبادر من لفظ التنمية.

ثانياً: الفلسفة:

أصل كلمة الفلسفة لفظة يونانية " فيلاسوفيا" وتعني حب الحكمة[11].

والفلسفة ترجع بشكل عام إلى معرفة عمق الأشياء، وفهم ما وراءها وخلفياتها وتفسير وجودها فـ(قد حاول هؤلاء الفلاسفة الأوائل أن يكتشفوا التركيب الأساسي للأشياء، وكذا طبيعة العالم والواقع) [12].

ومن خلال هذا البعد اشتهر استعمال كلمة الفلسفة في خلفيات الواقعة أو الظاهرة أو الموقف الذي يتم معالجته، ولذا فعندما نريد معرفة العمران دراسة قرآنية، فحري بنا أن نعرف الخلفيات والأضية التي يُعرضها القرآن الكريم في موضوع العمران، وهذا ما عنيناه بفلسفة العمران في القرآن، والخلاصة نعني بالفلسفة في بحثنا . الخلفية الموجهة للسير والمبينة لكنهه، فلا تشمل الأعمال المطلوبة أو التعريف به، أو

---

(8) دراسة عن التنمية المستدامة من منظور القيم الإسلامية وخصوصيات العالم الإسلامي ، إعداد : المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة. الإيسيسكو ، متاح على هذا الرابط http://iefpedia.com/arab/?p=5006 .

(9) هذا تعريف التنمية كعملية ويقابله تعريف التنمية كحالة نرمي الوصول إليها، ويمكننا تعريف التنمية كحالة الوصول لأقصى ممكنات الصلاح الإنساني والكوني والأرضي وما فيهما؛ ينظر: بافضل: أحمد صالح، آليات التنمية في الشريعة الإسلامية ص 28، ط 1، تريم: تريم للدراسات والنشر، 1441هـ.2021م.

(10) ينظر التنمية الزراعة ، مقال مجلة الوعي http://www.alwaei.com/site/index.php?cID=438 .

(11) تُنظر: الموسوعة العربية العالمية (17/ 441)، ط 1، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، 1416 هـ. 1996م.

(12) الموسوعة العربية العالمية (17/ 441).

الإجراءات والوسائل الموصلة ليه، كما لا نعني بالفلسفة العلم المعروف، ومما نستأنس به في مسلكنا قول المعجم الوسيط أن (الفلسفة) دراسة المبادئ الأولى) [13]

وهو ما يقرب مما يمكن الإطلاق عليه بفلسفة التنمية[14].

[13] مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط (2/ 700).

[14] يُنظر: عمر: إبراهيم أحمد، فلسفة التنمية رؤية سلامية ص 14، ط 2، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1413هـ. 1992م.

المبحث الأول: الخلفية التي توجه السير نحو إقامة العمران:

المطلب الأول: مرجعية القائم بالعمران:

من خلال الطرح القرآني؛ نجد هناك مسلكان لمرجعية القائم ببناء العمران، يستند إليهما، ويكونان مرجعيات السير؛ وهما: معطيات الوحي، ومخرجات عقول البشر وتجاربهم.

أولاً: معطيات الوحي:

الوحي من المولى سبحانه وتعالى وما جاء عن نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فما جاء عن الله مطلوب تنفيذه وكذلك ما جاء عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.[15] قال تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر: 7]

ثانياً: مخرجات عقول البشر:

أعطى القرآن للعقل البشري مساحة يجول فيها ويُبرز ما عنده، مما علمه أو أدركه بحسه أو بتجاربه.

قال تعالى {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43]

وأهل الذكر تشمل كل مجالات المعرفة وعلومها، قال السرخسي (وإنما يرجع إلى معرفة كل شيء إلى من له بصر في ذلك الباب، كما في معرفة القيمة، والأصل فيه قوله تعالى {فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُون}(النحل: 43))[16].

بل قد صرح الكاساني بكون الأطباء والبياطرة هم من أهل الذكر في مجالهم، قال ـ رحمه الله ـ متحدثاً عن ثبوت العيب -: (وإن كان لا يقف عليه إلا الأطباء والبياطرة فيثبت ، لقوله عز وجل : {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } وهم في هذا الباب من أهل الذكر فيسئلون) [17].

فالاستفادة من الوحي والبشر إنما تكون من المسلكين معاً.

---

[15] وبالطبع بحسب القواعد التي تبين كيفية الاستفادة ودرجة الإلزام ونحوها.

[16] السرخسي: محمد ابن أبي سهل، المبسوط (13 ص: 110)، بيروت: دار المعرفة، 1414هـ-1993م.

[17] الكاساني : علاء الدين أبو بكر بن مسعود ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (278/5) ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1982م .

وما أحسن قول الدكتور عبد الكريم بكار: (اقتضت حكمة الابتلاء أن يملِّكنا الله جل وعلا الأرضية والمنهجيات والأهداف الكبرى، وان يترك لنا البحث عن الأساليب والوسائل وتقسيم المراحل وإقامة الموازنات ومراجعة الخطوات ورسم البيانات وكل ما من شأنه التفاعل ضمن الإطار العام، والمعالم الأساسية التي زودنا بها)[18].

وبالطبع فإن الوحي هو الحقيقة المطلقة فيقدم، فإن لم يوجد ما يصرح به في الحالة الخاصة التي نريد معالجتها فيفسح المجال للاجتهاد البشري ففي الحديث (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟» ، قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟» ، قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في كتاب الله؟» قال: أجتهد رأيي، ولا آلو فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله)[19].

المطلب الثاني: المغزى والأغراض التي يوجه بها القرآن الكريم مقيم العمران:

يجد الناظر أن هناك غرضين؛ غرض عام، وأغراض إجرائية، ونوردها في الآتي:

أولاً: غرض إطاري عام للعمران. الابتلاء.:

يندرج العمران تحت إطار عام، وذلكم هو الابتلاء.

والابتلاء: في الأصل هو التكليف بالأمر الشاق من البلاء ويستلزم الاختبار[20]، فيصير الإنسان في وضع معين أو مأمورا بشي محدد فيأتي الاختبار والتمحيص لهذا الإنسان في فعل اللائق السليم أو النكوص عنه.

فالابتلاء (سنة شاملة تشمل جميع أفراد الأمة دون استثناء أو محاباة لأحد حتى الأنبياء، . كما أنها . لا تتوقف في زمن دون زمن أو مكان دون مكان، فحياة الإنسان كلها ابتلاء على هذه الأرض)[21].

---

(18) بكار: عبد الكريم, مدخل إلى التنمية المتكاملة. رؤية إسلامية. ص 27، ط 2، دمشق: دار القلم، 1422 هـ. 2001م.

(19) رواه أبو داود, سنن أبي داود (3/ 303), باب اجتهاد الرأي في القضاء، وهو حديث يحتج به لتلقي الأمة له بالقبول كما قال الخطيب البغدادي؛ ينظر كتابه: الفقيه والمتفقه (1/ 472)، ط 2, السعودية: دار ابن الجوزي , 1421 هـ, وينظر في صحة الاحتجاج به : ابن القيم: محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين (1/ 240)، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ - 1991م.

(20) الكفوي: أيوب بن موسى أبو البقاء، الكليات ص: 524، بيروت: مؤسسة الرسالة.

فقالب سير الإنسان في المطلوبات ومنها إعمار الأرض يجري وفق سنة الابتلاء والتمحيص الشخصي والأممي، سواء الفردي أو الأممي، فالتكليف يكون أيضاُ للأمة كجماعة عامة.

وقد علق الشيخ محمد الغزالي على قوله تعالى {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (الجاثية: 28) قال رحمه الله: (وكما يحاسب الفرد تحاسب المجتمعات والحضارات والأمم لتعرف أن تعاونها وتماسكها كان على شر، أو خير) [22].

فالابتلاء يرجع في الأصل إلى الاختبار بالطاعة، والانصباغ بالعبودية[23] .

ومن ثَم تواجه الإنسان والأمم مواقف عدة في قالب الامتحان والاختبار، للسلوك الصائب .

فعملية العمران ما هي إلا حلقة من حلقات حياة الإنسان في الوجود، ومجالات العمران تُمثل حلبة من حلبات تدافع البشر؛ في إيجاد الخير وإبعاد الشر، بما تتضمنه العملية من تحديات متنوعة، وأعمال متشبعة تستلزم تضحيات في النفس والمال والجهد.

ومن ناحية أخرى فمقصد الابتلاء يُعطي مُريد العمران دافعاً نحو التقدم، وتجاوزاً للصعاب.

فالابتلاء والتمحيص توطئة لمكان الاستقرار والحياة الحقيقية هو ما يعرضه القرآن الكريم، فالحياة الحقيقة لم تبدأ بعْدُ؛ قال تعالى {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} (العنكبوت: 64)، فالآخرة هي الحياة المعتبرة[24]؛ وهي (دارُ الحياة التي لا موتَ فيها، ولا تنغيص يشوبها كما يشوب الحياة في الدُّنيا)[25].

لكن لا بد من التنبيه إلى أن الابتلاء لا يُنافي إمكانية الوصول لأقصى ممكنات التحضر.

ثانياً: أغراض إجرائية تُطلب من القائم بالعمران:

ومنها: الإصلاح، الإعمار، الرشد، كالآتي:

1. الإصلاح:

---

(21) الأنس: رجب نصر، سنة الابتلاء في القرآن الكريم ص 177 . 178، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية . نابلس، كلية الدراسات العليا، أصول الدين، 2007م.

(22) الغزالي: محمد، المحاور الخمسة للقرآن الكريم ص 159، ط5، القاهرة: دار الصحوة، 1421هـ. 2000م.

(23) ينظر: الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان (23/ 505)، ط 1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000م.

(24) على حسب تعبير الفخر الرازي: محمد بن عمر ؛ ينظر تفسيره: مفاتيح الغيب (25/ 76), ط 3 , بيروت : دار إحياء التراث العربي , 1420 هـ

(25) ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير 3/ 413)، ط 1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ

قال تعالى {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ } [هود: 88]

فلا مكان للعبث فلذا ذم المولى جل وعلا قوماً فقال . سبحانه . {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ} [الشعراء: 128] قال ابن كثير: (وإنما تفعلون ذلك عبثا لا للاحتياج إليه؛ بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم، عليه السلام، ذلك؛ لأنه تضييع للزمان، وإتعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة)[26].

ومن باب أولى لا مكان للإفساد بغرض العمارة.

قال تعالى {وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 77]

2. الإعمار:

يعني الإعمار التشييد الناجع، والبناء النافع، وعدم الهدم؛ وهو موضوع البحث كله.

وقد ذكر الراغب الأصفهاني أن الإعمار هو أحد الأمور التي أوجد الله الإنسان لأجلها[27].

وجاء الأمر بالإعمار في قوله تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} (هود: 61).

فصيغة (استعمركم) فعل ماضي فيه معنى الطلب[28]؛ يقول التابعي زيد بن أسلم . رحمه الله .(استعمركم): أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن، وغرس أشجار[29].

3. الرشد:

فلا مكان للسرف، وفعل ما يُستفاد منه، فضلاً عما قد يُسبب أضراراً أو مساوئ.

قال تعالى :{ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: 141]، وقال جل شأنه: {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا () إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ } [الإسراء: 26، 27]

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67]

ولا مكان كذلك للعمران غير المحتاج إليه.

---

(26) ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم(6/ 137)، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ.

(27) ينظر كتابه: الذريعة إلى مكارم الشريعة ص 82. 83، ط 1 ، القاهرة : دار السلام ، 1428 هـ. 2007 م .

(28) قال سيبويه . مبيناً أحد معاني استفعل . : (وتقول: استعطيت أي طلبت العطية، واستعتبته أي طلبت إليه العتبى. ومثل ذلك استفهمت واستخبرت، أي طلبت إليه أن يخبرني؟) سيبويه: عمرو بن عثمان، الكتاب (4/ 70)، ط 3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1408 هـ - 1988م.

(29) ينظر: القرطبي: محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (9 / 56)، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية, 1384هـ - 1964م.

قال تعالى {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ} [الشعراء: 149]

فهم عمروا ليس استنفاعا بل بكونهم أَشِرِينَ بَطِرِينَ، (فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشرا وبطرا وعبثا، من غير حاجة إلى سكناها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها)[30].

[30] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (6/ 156).

المبحث الثاني: تناغم الحقائق الماثلة:

يعرض القرآن لحقائق ماثلة متقابلة تواجه مريد العمران؛ ومن ذلك: الدنيا والآخرة، المثالية والواقعية، الغيبيات والشهادة.

المطلب الأول: الدنيا والآخرة:

العمران في الدنيا حيث يكون جهد الإنسان في البناء، غير أن الدنيا ليست في الحقيقة دار استقرار، وإنما هي ممر إلى الحياة الحقيقية ـ الآخرة ـ.

قال تعالى {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} (العنكبوت: 64)، فالآخرة هي الحياة المعتبرة[31]؛ وهي (دارُ الحياة التي لا موتَ فيها، ولا تنغيص يشوبها كما يشوب الحياة في الدُّنيا)[32].

ومن ثم فعمارة الدنيا هي لأغراض آخرى غير التمتع الحقيقي الذي أهم عناصره الدوام والاستمرار.

فإلى أي حد يوجه القرآن الكريم إلى التعاطي مع أي منهما ـ الدنيا والآخرة ـ، وكيفية العمل وفق كونهما غرضي الإنسان.

ونتناول ذلك بإيراد عدد من الملامح للتعاطى بين الدنيا والآخرة، بحسب النظر القرآني؛ في الآتي:

1. قال تعالى {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد: 20]
2. الدنيا هي مكان الاختبار وعمارتها هو ما يطلب كابتلاء.
3. عمران الدنيا مطلوب لكي تتحقق الحياة وظيفتها من خالقها المتضمنة ما يجعلها حياة ابتلاء.

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف: 7]

ويبقى السؤال إذن عن ماهية الربط بين الدنيا والآخرة ؟

الحقيقة أن (.. العِداء بين الدنيا والآخرة والافتراق بين طريق الدنيا وطريق الآخرة، ليس هو الحقيقة النهائية التي لا تقبل التبديل.. بل إنها ليست من طبيعة هذه الحياة أصلا. إنما هي عارض ناشئ من انحراف

[31] على حسب تعبير الفخر الرازي: محمد بن عمر ؛ ينظر تفسيره: مفاتيح الغيب (25/ 76), ط 3 , بيروت : دار إحياء التراث العربي , 1420 هـ.

[32] ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير 3/ 413)، ط 1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ.

طارئ! إن الأصل في طبيعة الحياة الإنسانية أن يلتقي فيها طريق الدنيا وطريق الآخرة وأن يكون الطريق إلى صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلى صلاح الدنيا. وأن يكون الإنتاج والنماء والوفرة في عمل الأرض هو ذاته المؤهل لنيل ثواب الآخرة كما أنه هو المؤهل لرخاء هذه الحياة الدنيا)[33].

فهو درب واحد ممتد، يقول الدكتور طنش رحمه الله: (الطريق إلى صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلى صلاح الدنيا)[34].

بل هناك تكامل (في التصور القرآني للعلاقة بين الدنيا والآخرة .. . حيث هناك . وحدة العلاقة بينهما، فلا دنيا بدون آخرة، ولا آخرة بدون دنيا، وهذا يُبين أنه من المستحيل إقصاء حياة وإبعادها عن الأخرى بالتبعات والنتائج)[35].

وحتى يمكننا فك عقدة الاشتباك . عملياً . في قضية الربط في النظر بين الدنيا والآخرة نورد الآتي:

أ- استخدام الدنيا وعمارتها بكل جهد وإمكانية فيما ينفع في الحال والمآل، فهذا سيصب بالطبع في بوتقة الآخرة ما دام نافعاً ولو بطريقة غير مباشرة و(في كل كبد رطبة أجر)[36]، جاء الحديث في تقديم شيء للحيوان غير المملوك.

ب- النظر إلى الدنيا كدار إقامة، وفي الحديث يقول النبي . صلى الله عليه وسلم :. «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»(37).

ت- فعل مستلزمات الدنيا بما يُؤثر على مستلزمات الآخرة قدر الإمكان، مع العلم أنه لا يوجد في مستلزمات الدنيا النافعة الناجعة الصالحة ما يؤثر سلباً على مستلزمات الآخرة.

ث- التفريق بين الفردية والجماعية فالفرد يمكن أن يسلك ما يشاء من الابتعاد عنها والزهد فيها، غير أن المجموع والمجتمع لا بد له من عمارة الدنيا وتوفير ما يحتاجه البشر ، ولذا ترى الفقهاء يصرحون بأن

---

(33) قطب: سيد براهيم، في ظلال القرآن (2/ 932،931)، ط 17, بيروت: دار الشروق, 1412هـ.

(34) طنش: أحمد محمد، أثر المنهج الحضاري الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعتمدة على الذات ص 120، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان: كلية الاقتصاد العلوم السياسية، 1418هـ. 1987م.

(35) العمري: مريم محمود، التصور القرآني للعلاقة بين الدنيا والآخرة ودلالاته التربوية ص 45، رسالة ماجستير ير منشورة، تخصص تربية، قسم الداسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، 1427هـ. 2006م.

(36) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً؛ البخاري، الجامع الصحيح (3/ 112)، كتاب المساقاة: باب فضل سقي الماء، ومسلم، الصحيح 4/ 1761)، كتاب السلام: باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها.

(37) سنن الترمذي ت شاكر (4/ 589)، قال الهيثمي: عن رواية مقاربة (ورجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب، وهو ثقة) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/ 326)، القاهرة: مكتبة القدسي، 1414 هـ، 1994م..

كل ما احتاجه الناس لا بد من إيجاده[38] فتجب ولو إبرة صغيرة للخياطة فضلاً عن وجود احتياجات مجتمعية عامة، فعندنا الآن الصحة العامة والدفاع العام وحفظ البلد من التبعية ... كل ذلك يتطلب بالطبع عمراناً للدنيا.

ج- الزهد فيما في الدنيا من تمتع ونعم بالطبع ظاهري لكن منحاه في الأخير قلبيٌّ ولذا ترى بعض الأئمة يجعل الزهد في قوله تعالى {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد: 23]، ونقله ابن القيم عن الجنيد رحمهما الله[39].

والخلاصة فهناك تشابك ليس بالهين عملياً فكيف يكون الربط بينهما إجراءياً ؟

يمكن القول بأن الإجراء العملي يجعل فعل ما يتعلق بالدنيا في أقصى الممكن سماحا للفرد، وإلزاما للجماعة والأمة.

وبالمقابل فالآخرة هي بمثابة صمام أمان لطغيان الفرد عند التمكين من أموال أو إمكانات أو ...

فلذا عند ننظر للتطبيقات العملية نجد أن المنحى الجمعي المجتمعي يتجه إلى التحضر.

وأما الفردي فممكن يتجه للزهد لكنه يتناول الدنيا وما فيها تناولاً توظيفياً ولا مانع أن يكون في أقصى التمتع، ولعل منه ما حبب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النساء وهو من أعلى متاع الدنيا، ومثل ما جاء عن الصحابة من أكل الجبن، وما ثبت عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه من جلب الساج .خشب ثمين فخم .للمسجد[40].

المطلب الثاني: المثالية والو اقعية:

المثالية تعني: في الأصل (وصف لكل ما هو كامل في بابه كالخلق المثالي واللوحة المثالية)[41]. وهذا ما نقصده، هنا .وهو نشدان الكمال.

---

[38] يقول الغزالي: (إن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة) إحياء علوم الدين (1/ 16)، بيروت: دار المعرفة.

[39] ابن القيم: محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين 2/ 12)، ط 3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1416 هـ - 1996م.

[40] فعن عبد الله بن عمر (أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا، وزاد فيه عمر: وبناه على بنيانه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة: وبنى جداره بالحجارة المنقوشة، والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج) رواه البخاري، الجامع الصحيح (1/ 97)، كتاب الصلاة: باب بنيان المسجد، و(الساج بالجيم هو ضرب من الخشب يؤتى به من الهند) وَ (والقَصة بفتح القاف وتشديد المهملة هي النورة) ابن حجر، فتح الباري (1/ 136 و1/ 420)، بيروت: دار المعرفة, 1379هـ.

[41] مصطفى، المعجم الوسيط (2/ 854).

والواقعية هي: النظر لواقع الحال كما هو بملابساته وظروفه الممكنة، أن أن الواقعية هي (عرض الآراء والأحداث والظروف والملابسات دون نظر مثالي)[42].

والقرآن الكريم يوجه، ويعطى ملامح للإنسان عند قيامه بمهام الاستخلاف في الأرض، ومنه العمران، في التعاطي مع المثالية والواقعية، فيعرض له (منهج الله في الأرض في صورته المثالية الواقعية)[43]، إلا أنه ووفقاً لنتائج إحدى الدراسات فـ(القرآن الكريم مثالي؛ لأنه يُغري بالمثل العليا .. الإنسان المثالي والمجتمع المثالي .. ولكنه مع هذه الدعوة المثالية لا ينسى الواقع الذي يحياه الناس ويهبطون إليه .. فهو يعالج الواقع نظرياً، ويعالجه عملياً، ولكنه يحاول أن يرقى بالإنسان ليعلو عليه بإيمانه وأخلاقه ومثله وأهدافه الكبرى)[44].

أولاً: المثالية:

يُعطي القرآن الكريم المثالية عبر مظاهر متعددة؛ منها:

1. الاستقادة التامة
2. الصلاح
3. النماذج الراقية

   فسير الأنبياء فيه إشارة إلى النزعة إلى الكمال، بشكل عام،
4. الأوامر والنواهي تنشد المثالية.

قال تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} [آل عمران: 102]

فالعمران مطلوب في أبهى ما تكون من نظرات وأقصى ما تكون من إشباع وأمضى في سبيل الوصول إليه.

ثانياً: الو اقعية:

يُعطي القرآن الكريم الواقعية عبر مظاهر متعددة؛ منها:

---

(42) مصطفى، المعجم الوسيط (2/ 1051).

(43) قطب, في ظلال القرآن (31/ 466).

(44) العربي: عيد مبارك، القرآن الكريم بين المثالية والواقعية ص 271، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، 2000م.

1. الفرد وقدرته:

ولذا فتكليف الفرد بجهده البشري هو بحسب الممكن، قال تعالى: {وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [المؤمنون: 62]، فالتقوى مثلاً وهي عنوان لفعل كل خير ونافع، ربطت بذلك، قال تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } [التغابن: 16]

2. ما صدر عن بعض الأنبياء:

قال تعالى: ({وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} [طه: 121]

3. مواقف عامة قد يُستدرك عليها:

ومنها ما جاء في قضية أسرى بدر؛ قال تعالى {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ } [الأنفال: 67]

4. حالة المكان والزمان والواقع:

فالزمان والمكان والحالة يؤثران على المطلوب المفترض المثالي، ومنه القدرة عند كل فرد

قال تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } [التغابن: 16]

5. **ومن ثُم لو وُجد ما يستدعي التأثير على التكليف فليراعى:**

ومنها الاستثناءات، منها حالات الضرورة {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} [الأنعام: 119]، وقال تعالى **{وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ } [النساء: 129]**

ويمكننا أن نجمل بعض الواقعيات التي يصادفها مريد العمران مما يُذكر به القرآن؛ فمن ذلك:

1. عوائق تواجه سير الخير. المثالية: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ } [البقرة: 251].
2. طبيعة البشر: ضعف البشر {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: 28]
3. سنن كونية: سنة التداول، الربط بالأسباب. بمعنى لا بد من سلوكها لنصل إلى الطموح المثالي.
4. المثالية في طموحها وتحليقها ليس هو الإجراء الذي بموجبه يكون الثواب والعقاب بل معيار. هنا. هو الواقعية.

وعلى ضوء النظرتين المثالية المرجوة، والواقعية الممكنة، يكون التعاطي الملائم من الإنسان لكن (الرغبة في تحقيق المثالية في الحياة في ضوء أيات القرآن الكريم والسنة النبوية لا تعني التكلف والعنت وتجاور خط الوسع والاستطاعة، كما أن الواقعية لا تعني القبول بالواقع على ما فيه من انحطاط)[45].

المطلب الثالث: الغيبيات والشهادة:

الغيب هو ما غاب عنا مما هو موجود، وعالم الشهادة هو ما كان موجوداً في الكون مما يمكن مشاهدته، وفي الطبري: الشهادة عالم ما تعاينون: فتشاهدونه، والغيب ما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه[46].

فالغيب في القرآن الكريم (هو: شيء موجود، ولكنه مستور بحجب من الظلمات أو النور) [47].

فكيف ندرك عالم الغيب ونتعامل معه كما هو، وكيف ندرك عالم الشهادة كما هو عليه حقيقة، ونزداد في معرفته والاستفادة منه وتوظيفه.

فمن الغيب هناك رب خالق .سبحانه.، وهناك ملائكة، وهناك عالم الجن.

وهناك شيطان مخلوق يوسوس ويُغوي.

ومن عالم الشهادة كل ما نشاهده من أرض وكون وحيوان ونبات وحجر ومدر وبشر.

فمريد العمران مجاله هو الأرض عالم الشهادة فليستفيد منه في أقصى ما يكون ولكن في النفع.

فقد خُلقت لنا قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } [البقرة: 29]

ولينظر ما يرتبط به في موضوعه من الغيبيات، مثل الخالق جل وعلا، والملائكة، وهناك جنة أو نار وهكذا.

ومنها:

- مراقبة الخالق.
- زيادة الحذر من وسوسة الشيطان.

---

(45) العريبي، القرآن الكريم بين المثالية والواقعية ص 271.

(46) يُنظر في: الطبري، جامع البيان (11/ 464).

(47) الغيلي: عبد المجيد محمد، عالم الغيب والشهادة (2 / 7)، الرياض، 1435هـ ، 2014 م.

- ✓ يمكن حصول أمور خارقة للعادة في مجريات سنن الكون، فلتطلب ممن خلق الكون ونواميسه وهو الله جل وعلا.

والخلاصة أن القرآن يربط المرء بالغيب وبالشهادة معاً، فيجعله وهو متبصر قدر إمكانه للشهادة وما في الكون يجعله . أيضاً . يرتبط بالغيبيات لينتبه أكثر، ولتشد من أزره نحو الثبات والخير، وكلما زادت مهمة الإنسان وحركته في عوالم الشهادة كلما احتياج إلى القرب أكثر من عوالم الغيب الخيّرة؛ فلذا وجب قيام الليل على النبي. صلى الله عليه وسلم. قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا } [المزمل: 1، 2].

والقائم بالعمران يحتاج إلى الارتباط بالغيب حتى يُرشد في معايشته للعمران ومتطلباته.

المبحث الثالث: الأبعاد التنموية لفلسفة العمران في القرآن:

بالنظر إلى الخلفية الموجهة للعمران، فهناك أبعاد متعلقة بالرفع التنموي نفسه ومشكلاته:

ومنها قضية الوفرة والندرة، وجهد البشر أو الاتكال على ما يقدره الخالق . جل وعلا .، وتوسيع أبعاد العمران والإبداع الحضاري، ورابعاً في كون الإنسان غاية العمران وأداته، ونتناولها في المطالب الأربعة الآتية.

المطلب الأول: بُعد الوفرة والندرة:

الوفرة: نعني بها وجود الموارد الكافية التي يحتاجها البشر في اشباع غرائزهم، وتلبية احتياجاتهم، وتوفير متطلباتهم.

وأما الندرة فهي " مشكلة اقتصادية أساسية تتمثل في امتلاك البشر لرغبات وحاجات غير محدودة في عالم محدود الموارد"[48].

وفي الطرح القرآني نجد أن خالق الكون والأرض والإنسان قد بيَّن أن الأرض قد قدرت فيها أقواتها، قال تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ} [فصلت: 9، 10]

فالأرض فيها ما يلبي حاجة الإنسانية بما حباها الله من إمكنات العطاء، قال في التحرير والتنوير: (فمعنى قدر فيها أقواتها أنه خلق في الأرض القوى التي تنشأ منها الأقوات وخلق أصول أجناس الأقوات وأنواعها من الحب للحبوب، والكلأ والكمأة، والنوى للثمار، والحرارة التي يتأثر بها تولد الحيوان من الدواب والطير، وما يتولد منه الحيتان ودواب البحار والأنهار)[49].

ومع تقرير القرآن الكريم لوجود الوفرة إلا أن هناك بالطبع ندرة نسبية، قال تعالى { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } [البقرة: 155]

---

(48) تعريف مشهور متداول؛ ينظر على سبيل المثال: مقال عقل: أحمد، تناقض القيمة.. بين الندرة والمنطق على الرابط https://lusailnews.net/knowledgegate/opinion/25/04/2021/%D8%AA%D9%86%D8%A7%D9%82%D8%B6-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D9%85%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AF%D8%B1%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82.

(49) ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير (24/ 244)، تونس : الدار التونيسية , 1983 هـ .

وقد رُبط الأمر بفعل الإنسان من حيث أن الوفرة موجودة، ويبقى عليه بذل الجهد.

فأصل مشكلة وجود ندرة نسبية تبدو في أمرين:

1. عدم قيام الإنسان بما يلزم لتوفير المتطلبات.
2. إطلاق رغبات الإنسان ومتطلباته بما يزيد بالطبع عن المتوفر لأن الرغبات آفاق تحليق ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى الثالث.

والخلاصة أن القرآن يُعطي مريد العمران تفاؤلاً في وجود ما يطمح إليه، ويبرز له بطلان قضية الندرة، والحقيقة أن وكل مخاوف الندرة ما هي إلا خرافات يروج لها المستفيدون من الأغنياء في الدول المتقدمة[50].

وللقيام بهذه الوظيفة هيأ الله عز وجل للإنسان مقومات الحياة في الأرض، ويَسر له احتياجاتها؛ قال تعالى : {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} (البقرة: 29) ، وقال تعالى{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ } (الجاثية: 13)، وقد جاء في تفسير الجلالين . في آية التسخير . (لتنتفعوا بها)[51]، فما في الكون والأرض كله مسخر للإنسان فما عليه سوى الاستفادة منه.

المطلب الثاني: بين جهد البشر والاتكال على الخالق . جل وعلا :

العمران يحتاج إلى جهد بشري، وحركة البشر هي مرتبطة بإرادة الخالق سبحانه وتقديره، فكيف يسير الإنسان بجهده مع تطلعه لمعونة به جل وعلا.

ونحاول عرض ذلك الآتي:

أولاً: أعمال الإنسان الراشدة تُنتج التأييد الرباني، قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: 7]

فالتأييد الرباني مرتبط بالسلوك العملي من البشر {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} [آل عمران: 125].

وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف: 96]

---

(50) يُنظر: لابيه: فرانسيس مور، وكولينز: جوزيف، صناعة الجوع وخرافة الندرة ص 15، ترجمة أحمد حسان، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة 64، إبريل 1984م.

(51) المحلي: محمد بن أحمد، والسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، تفسير الجلالين ص 542، القاهرة: دار الحديث.

ثانياً: يمكن أن ألتمس ظهور غيبيات تعينني، لكن لا يعني ذلك ترك ما ينفع، مما يقدر عليه الإنسان، ومع أنه يمكن وقوع الأشياء بدون اتخاذ الأسباب، لكن بقاء الفرد بدون فعل ما يمكنه انتظارا للتأييد الغيبي يُعدُّ سلوكا غير سليم ويسمى تواكلا.

ثالثاً: المطلوب الأمران، وهو ما يُلحظ في قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } [الأنفال: 62]

رابعاً: ما يحصل من مصائب لا يتمناها الإنسان هو نتيجة مستندة أيضا لأفعال الإنسان نفسه، قال تعالى {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 165]

المطلب الثالث: غاية العمران وأداته:

تشتهر في العصر الحديث مقولة كون الإنسان غاية التنمية، وأداتها، وبما أن العمران هو مسمى مقارب للتنمية، فكذلك يمكن القول بأن الإنسان غاية العمران وأداته، فلا بد أن يتمحور العمران حوله، وبيان ذلك في الآتي:

أولاً: الإنسان غاية التنمية:

الإنسان غاية التنمية الرئيسة: وقد خلق الله له ما في الأرض {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } [البقرة: 29]، فلذا يمكن للإنسان الاستفادة منها وتطويعها لينتفع بها في حياته، قال في الجلالين . في آية التسخير . (لتنتفعوا بها)[52].

ثانياً: الإنسان أداة التنمية:

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة: 30].

فلذا أقدره المولى على غيره من المخلوقات وذلكم المسمى بالتسخير ويعني قدرة الإنسان على إخضاع غيره من المخلوقات وهو ما جُبل الخلق عليه.

وقد وردت في التسخير آيات كثيرة؛ منها قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13) } [الجاثية: 12، 13]، فـ (كل ما ذل وانقاد أو تهيأ لك على ما تريد، فقد

[52] المحلي، والسيوطي، تفسير الجلالين ص 542.

سخر لك)[53]، فيمكن للإنسان القائم بالتنمية والعمران أن يسيطر على كل المخلوقات الأخرى وتنقاد له.

المطلب الرابع: توسيع أفق وسماح للإبداع الحضاري:

من التوجيه القرآني مما يتعلق بالعمران قضيتان مهمتان؛ أوهما: توسيع الأفق في العمران، والثانية: السماح بالإبداع حضاري.

أولاً: توسيع الأفق في العمران:

يؤخذ من طلب سليمان . عليه السلام . خدمة نقل ذات ففي الآية {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا} [النمل: 38]، فندرك توسيع أفقنا في التحضر والإعمار.

وقد ذكر المولى . سبحانه . أيضاً عددا من أمثلة الإبداعات حضارية؛ ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ } [الزخرف: 33]

و({عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} أي درج من فضة عليها يصعدون , والظهور الصعود)[54].

ثانياً: السماح بالإبداع الحضاري:

ذكر المولى . سبحانه عن قصر سليمان بما يدل على السماح في إبداعٍ حضاريٍّ، قال تعالى { قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ } [النمل: 44].

---

(53) ابن منظور، لسان العرب (4/ 354).

(54) الماوردي: علي بن محمد، النكت والعيون (5/ 224)، بيروت: دار الكتب العلمية.

الخاتمة

بحمد الله أنهينا ما يسر المولى كتابته في موضوع خلفية العمران وأرضيته التي ينطلق منها مريد الإعمار الناجع.

أولاً: النتائج:

من النتائج التي توصل البحث إليها نورد الآتي:

1. تناول القرآن العمران طلباً وإعطاء لبعض أرضيته.
2. جعل القرآن معطيات الوحي، ومخرجات عقول البشر هي المرجع الرئيس للقائم بعملية العمران.
3. جعل القرآن هناك إطاراً عاماً يتمحور فيه القائم بالعمران وذلكم الابتلاء، وحدد له أغراضاً إجرائية تراعي؛ ومنها: الإصلاح، والإعمار، والرشد.
4. يوجه القرآن للتوافق والتناغم بين عدد من المتقابلات: الدنيا والآخرة، المثالية والواقعية، الغيب والشهادة.
5. يضع القرآن وضوحا في بعض متعلقات العمران التنموية، مثل وجود الوفرة وبطلان الندرة المطلقة، وإطلاق مثابرة الإنسان في تصرفاته مع إمكان استفادته من إعانة المولى .سبحانه .ونصرته.

ثانياً: **التوصيات:**

يوصي الباحث باتي:

1. طرق الموضوعات المتعلقة بالقرآن وعلاقته بالمطروح في الفكر التنموي ومتعلقاته في الرسائل العلمية والأبحاث.
2. دراسة موضوع العمران في القرآن؛ في جزئين متبقين بعد فلسفة العمران؛ وهما: سير العمران، وتطبيقاته على الواقع التنزيلي.
3. زيادة الدراسة والتمحيص في بعض القضايا التي أثارها البحث؛ ومنها: علاقة الدنيا والآخرة إجرائيا، وإطلاق القرآن للإبداع الحضاري.